

## سورة الفيل

مكية، آياتها خمس

[نزلت بعد الكافرون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْفِيلِ ۝ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ ۱﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّبٍ ۝ ۲﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ ۳﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ ۴﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ۵﴾

روي أنّ أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس<sup>(١)</sup>، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج رجل من كنانة فقعدها فيها ليلاً<sup>(٢)</sup>، فأغضبه ذلك. وقيل: أجمت رفقة من العرب نازًا فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود، وكان قويًا عظيمًا، واثنان عشر فيلاً غيره. وقيل: ثمانية وقيل: كان معه ألف فيل، وقيل كان وحده؛ فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع، فأبى وعبا جيشه وقدم الفيل، فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيرها من الجهات هرول؛ فأرسل الله طيرًا سودًا. وقيل: خضرًا وقيل: بيضًا، مع كل طائر حجر في منقاره، وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه رأى منها عند أم هانئ قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه، ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل؛ ودوى أبرهة<sup>(٣)</sup> فتساقطت أنامله وآرابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه. وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائره يخلق فوقه، حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة، فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتًا بين يديه. وقيل: كان

- (١) قوله: «وسماها القليس» بالتشديد، مثل القيط: بيعة كانت بصنعاء للحبشة: بناها أبرهة، وهدمها حمير، كذا في الصحاح. (ع)
- (٢) قوله: «فقعدها ليلاً» كناية عن التغوط. وفي الخازن فتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعذرة. (ع)
- (٣) قوله: «ودوى أبرهة» أي مرض. وآرابه، أي: أعضاؤه. (ع)

أبرهة جدّ النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ بأربعين سنة، وقيل: بثلاث وعشرين سنة<sup>(١)</sup> (١٧٩٩). وعن عائشة رضي الله عنها: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستظعمان. وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير، فخرج إليه فيها، فجهره<sup>(٢)</sup> وكان رجلاً جسيماً وسيماً. وقيل: هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال، فلما ذكر حاجته قال: سقطت من عيني، جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر، فألهاك عنه ذود أخذ لك؛ فقال أنا ربّ الإبل، وللبيت رب سيمعه، ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول [من مجزوء الكامل]:

لَأَهْمُ إِنْ الْمَرْءَ يَمُـ      نَعُ أَهْلَهُ فَا مَنَعُ خَلَاكَ  
لَا يَغْلِبُنْ صَلِيبُهُمْ      وَمَحَالُهُمْ عَدُوًّا مَحَالِكَ  
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَغُـ      بَتْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

١٧٩٩ - رواه ابن جرير (١٢/٦٩٥) رقم (٣٧٩٨٩) حدثنا به ابن حميد قال: ثنا مسلمة بن الفضل قال ثنا ابن إسحاق فذكر حديثاً طويلاً.

(١) قوله: «بأربعين سنة، وقيل بثلاث وعشرين» لعله وكان قبله بأربعين سنة. وفي الخازن: اختلفوا في

عام الفيل، فقيل: كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة اهـ. (ع)

(٢) قوله: «فجهره» في القاموس «جهر الرجل»: عظم في عينه وراعه جماله، كأجهره انتهى. (ع)

(٣) لا هم إن المرء يـ      نع أهله فامنع حلالك

وانصر على آل الصليـ      ب وعايديه اليوم آلك

لا يغلبن صليـ      ومحالهم عدواً محالك

جروا جميع بلادهم      والفيل كي يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم      جهلاً وما رقبوا جلالك

إن كنت تاركهم وكعـ      بتنا فأمر ما بدالك

لعبد المطلب حين أراد أبرهة بن الصباح هدم الكعبة وأغار على مائتي بعير له، فخرج إليه عبد المطلب في طلب الإبل، وقد قيل لأبرهة: إنه سيد قريش، يطعم الناس في السهل، والوحوش في رءوس الجبال؛ فلما طلب الإبل قال له: سقطت من عيني، جئت لأهدم شرفكم فألهاك عنه طلب المال؛ فقال: أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه، ثم رجع وأخذ بحلقة الباب وقال ذلك. ولاهم: أصله اللهم، فخفف. إن المرء يمنع، أي: يحفظ أهله، وأنت الله فاحفظ حلالك، أي: سكان حرمك الذين حلوا فيه. يقال: حي حلال، أي: نزول، وفيهم كثرة. أو الذين هم في حل منك. ويجوز على بعد أنه أطلق الحلال على البيت، أو أهله على سبيل المشاكلة التقديرية للأهل؛ على =

[ومن الرجز]:

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ فَاَمْنَعُ مِنْهُمْ حِمَاكَ<sup>(١)</sup>،

فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن فقال: والله إنها لطير غريبة ما هي ببحرية ولا تهامية.<sup>(٢)</sup>، وفيه: أن أهل مكة قد احتوا على أموالهم، وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور<sup>(٣)</sup>، وكان سب يساره. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سئل عن الطير فقال: حمام مكة منها. وقيل: جاءت عشية ثم صبحتهم. وعن عكرمة: من أصابته جذرته وهو أول جذري ظهر. وقرئ: ألم تر، بسكون الراء للجد في إظهار أثر الجازم: والمعنى: أنك رأيت آثار فعل الله بالحبشة، وسمعت الأخبار به متواترة، فقامت لك مقام المشاهدة. و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بفعل ربك، لا بألم تر؛ لما في ﴿كَيْفَ﴾ من معنى الاستفهام ﴿فِي تَضَلُّلٍ﴾ في تضييع وإبطال. يقال: ضلل كيده، إذا جعله ضالاً ضائعاً. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥] وقيل: لامرئ القيس: الملك الضليل؛ لأنه ضلل ملك أبيه، أي: ضيعه، يعني: أنهم كادوا البيت أولاً ببناء القليس، وأرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج إليه،

= أن معناه الزوجة. وروي: إن المرء يمنع حله فامنع حلالك. والحل والحلال: ما يحل التصرف فيه. وروي: إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك، وهو يؤيد الأول. والآل لا يضاف إلا لذي شرف؛ فإضافته للصليب ليشاكل ما بعده. أو على زعمهم أنه ذو شرف. وعابديه: جمع مضاف للضمير إضافة الوصف لمفعوله. واليوم: ظرف النصر. والمحال: مصدر ما حله إذا كابده بمكروه. والعدو: العدوان والظلم: وهو نصب على التمييز. أو على المفعول المطلق. ويروى: غدواً، أي: في الغد، فهو ظرف. ويروى: أبداً. ويروى: جموع، بدل جميع، وكان معهم اثنا عشر فيلاً فيها فيل جسيم عظيم اسمه محمود؛ فمراده بالفيل: الجنس، أو المعهود. والعيال: مفردة عيل، وجمعه عيائل، كحيد وجياد وجيائد، من قوله وتتهد شأنه عمدوا: قصدوا، حماك، أي: حرمك الذي حميته لجهلهم. أو جاهلين وما خافوا عظمتك، إن كنت تاركهم مع كعبتنا يفعلون بها ما شاءوا فأمر عظيم ظهر لك منا الآن من معاصينا. أو أمر تعلمه أنت ولا نعلمه من الحكمة والمصلحة. وفيه تفويض إلى الله وتسليم إليه.

ينظر: لسان العرب (محل)، (غدا) وتاج العروس (محل) (غدا).

(١) يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حماك

إن عدو البيت من عاداك امنعهم أن يخربوا فناك

لعبد المطلب أيضاً، أي: لا أرجو لمنع الأعداء عنا غيرك، وألف القوافي للإطلاق، وتكرير النداء للاستعطاء. والعدو: يطلق على الواحد والمتعدد، أي: من كان عدواً لأهل بيتك فهو المعادي لك البالغ في العداوة. والفناء: رحبة البيت. وروي بدله «قراكا» جمع قرية؛ وبدء المصراع الثاني بألف الوصل جائر، لأنه محل ابتداء في الجملة، كما نبه عليه الخليل.

(٢) قوله: «ما هي ببحرية ولا تهامية» ببحرية: في أبي السعود: بنجدية. (ع)

(٣) قوله: «وذهبهم الجور» لعله الجرب: جمع جراب، مثل: كتب، جمع كتاب. (ع)

فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه؛ وكادوه ثانيًا بإرادة هدمه، فضلل بإرسال الطير عليهم ﴿أَسَايِلَ﴾ حزائق، الواحدة: إبالة. وفي أمثالهم: ضغت على إبالة، وهي: الحزمة الكبيرة، شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالإبالة. وقيل: أبابيل مثل ٢٧٢/٢ بعباديد، وشمايط لا واحد لها، وقرأ أبو حنيفة - رحمه الله -: يرميهم، أي: الله تعالى أو الطير، لأنه اسم جمع مذكر؛ وإنما يؤنث على المعنى. وسجيل: كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار، كما أن سجينًا علم للديوان أعمالهم، كأنه قيل: بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون، واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال؛ لأن العذاب موصوف بذلك، وأرسل عليهم طيرًا، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْطُوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: من طين مطبوخ كما يطبخ الأجر. وقيل: هو معرب من سنككل. وقيل: من شديد عذابه؛ ورووا بيت ابن مقبل [من البسيط]:

ضَرْبًا تَوَاصَّتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سَجِيلاً<sup>(١)</sup> .....

وإنما هو سجيناً، والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه؛ وشبهوا بورق الزرع إذا أكل، أي: وقع فيه الأكال؛ وهو أن يأكله الدود. أو بتبن أكلته الدواب ورائته، ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن، كقوله: ﴿كَأَنَّا يَاكُلَانِ الْطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] أو أريد: أكل حبه فبقي صفراً منه.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسح» (١٨٠٠).

١٨٠٠ - تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن مردويه والشعبي والواحدي بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.

(١) ورجلة يضربون البيض عن عرج ضربًا تواصت به الأبطال سجيلاً

لابن مقبل. والرجلة: جماعة الرجال. والبيض - بالكسر -: كناية عن السيوف، أي: يضربون بها؛ وإن قرئ بالفتح فهي المغافر على رؤوس الفرسان. والعرج: الميل والاعوجاج. ويروى: عن عرض؛ ولعله تحريف. والمراد: اختلاف أحوال الضرب. والبطل: لشجاع. والسجيل: الشديد، ولكن الرواية بالنون؛ لأن القصيدة نونية، وسنذكر بعضها في أواخر حرف النون.